

الدُّعَاءُ

وَالاعْتِدَاءُ فِيهِ

لفضيلة الشَّيخ

أ.د. عبد السَّلام بن محمَّد الشّويعر



الشيخ لم يراجع التَّفريغ





00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer9@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ
٧٨

الدعاء والاعتداء فيه

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وأشهدُ أنَ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، واشهد أنَ محمدًا عبده ورسولهُ، والهادي إلى سبيلِهِ، صلواتُ اللهِ وسلامهِ عليهِ وعلى آله وأصحابهِ وسلم تسليمًا كثيرا.

ثُمّ أمّا بَعْد:

أيها الإخوة!! فإني سأتكلم اليوم عن عبادة يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، ويحبها عباد الله الصالحون، هذه العبادة هي التي يأنس بها المؤمنون ويفرحون بها، ويشتاقون إليها، ويجدون فيها أُنْسَهُم، وذهاب همهم، وذهاب ما أشكل عليهم في نفوسهم.

ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»؛ فالدعاء هو العبادة، فهو عبادة في ذاته، بل إن جُلَّ العبادات لا بُدَّ أن يكون فيها دعاء؛ كالصلاة، والصدقة عند بذلها، والصوم عند الإفطار وأثناءِه، والحج، فما من عبادة إلا والدعاء موجود فيها، وهذا الدعاء يحبه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله يحب الملِحِّين بالدعاء من عباده، والمؤمن يأنس بالدعاء ما لا يأنس غيره به، حتى إن بعض أهل العلم كما نقله ابن مفلح في «**الآداب**» قال: إنه ليكون إليَّ الحاجة فأكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ، والتضرع إليه، وسؤاله، والإلحاح؛ فيُفتح عليَّ من المفاتيح خير، ويُفتح عليَّ من الأنس بالله عَزَّوَجَلَّ ما وددت ألا يُستجاب دعائي؛ من كثرة راحته، وأُنس نفسه بدعائه للجبار جَلَّ وَعَلَا.

ولذلك فإن المؤمن إذا مدَّ يديه، أو كان حال سجوده خاضعًا لربه سبحانه، داعيًا ومناديًا، وسائلًا ومناجيًا؛ فإنه إنما يدعو ويسأل خالقه جَلَّ وَعَلَا، وإنما يرجو بَارِيَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإليه يشكو

بثَّه، وإليه يشكو حَزَنَه، ومنه يطلب طلْبَه، وإليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستغيث ويستجير، إذًا هذا الدعاء عبادة في ذاتها، يحبها الله عَزَّوَجَلَّ من عباده، ويحب المتقون من عباده هذه العبادة.

❁ **ولكن أيها الإخوة!!** كما أن هذا الفعل عبادة، وكذا سائر العبادات؛ فإننا قد نهينا عن بعض التصرفات فيها، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في المسند من حديث ابن عباس-: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ**»، قال صالح لأبيه أحمد: الغلو في ماذا؟ قال: الغلو في كل شيء، ويقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، ومن الاعتداء: الاعتداء في الدعاء، وقد ثبت من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سَيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ يَعْتَدُونَ فِي دُعَائِهِمْ**»، إن الاعتداء في الدعاء -أيها الإخوة- منهي عنه، ومذمومٌ الداعي به، بل إن اعتدائه في دعائه سبب لرد دعائه، وعدم إجابته، والمؤمن إنما يدعو الله عَزَّوَجَلَّ يرجو إعطاءه سُؤْلَهُ، وأن يُعاذ مما استعاذ منه؛ ولذلك فإن المؤمن يجب عليه ويتأكد أن يبتعد غاية البعد عن الاعتداء في الدعاء.

❁ **ومن علامات نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخباره:** أنه أخبر أنه كلما طال الزمان عن عهد النبوة، وكلما ابتعد الناس عنه؛ فإنه يكثر اعتداؤهم في دعاءهم، ويكثر خطؤهم فيه، ولذلك إذا رام المرء أن يقيس دعاء كثير من الناس، سواء ممن يوجد في الكتب، أو يسمع في المسموعات؛ فسيجد أن كثيرًا منه فيه اعتداء، فلا غرو بعد ذلك ولا ريب أن كثيرا من الناس يقول: أدعو وأدعو فلا أجد لدعائي إجابة.

الاعتداء في الدعاء الذي حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزجر عنه، ونهى ربنا جَلَّ وَعَلَا ما هو؟!

قال أهل العلم: إن الاعتداء نوعان:

- **النوع الأول:** إما أن يكون اعتداء في الطلب.
- **النوع الثاني:** وإما أن يكون اعتداء في المطلوب.

❁ **فالاعتداء في الطلب؛ أي:** في صيغة الدعاء، فالإنسان منهيٌّ أن يدعو بصيغة ممنوعة؛ ولذلك فإن من شقَّق الكلام، وأتى بالسجوع؛ فإن هذا من المنهي عنه شرعًا، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه -لما سمع بعض الناس ويتقصَّد السجع-: **أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الكهان**؟ لأن المرء إذا قصد السجع فإنما قصده الصوت واللفظ، ولم يتأمل في المعاني، أقرب الناس في دعائه من واطأ قلبُه لسانَه في الدعاء، فكان يدعو ويستشعر ما يدعو، فإذا دعا فقال: يا رحمن، عرف معنى هذا الاسم واستشعره في قلبه، وإذا قال: يا رزاق، يا كريم، يا جليل، يا حي، يا قيوم، وغير ذلك من الأسماء؛ استشعر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وأفعاله، ثم بعد ذلك سأل الله عَزَّوَجَلَّ متواضعا، متذللا، متخشِّعًا، متبرئا من الحول والقوة إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم سأله الأمر الذي أُذن له بسؤاله -سنتكلم عنه في النوع الثاني-؛ فإنه -حينئذ- يكون قد أحسن في سؤاله.

❁ **إذًا من صور الاعتداء في الطلب:** أن يُعنى المرء بالألفاظ دون العناية بالمعاني، فيكثر من السجوع، والألفاظ الغريبة، بل بعض الناس يدعو بدعاء في كتاب الله لا يفهم معناه، يُؤتى بغريب الألفاظ، ولذلك لما جاء ذلك الرجل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا رسول الله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، قال: «**فَمَا تَقُولُ؟**»، قال: اللهم إني أستعيذ بالله من النار، وأسأله الجنة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّما حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»، والمقصود أن الإنسان يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء صادر من قلبه، مستشعر لمعانيه، وأن يبتعد عن هذه الألفاظ.

❁ **من أعظم الألفاظ في قضية الاعتداء في اللفظ:** أن يأتي المرء في ألفاظه بألفاظ محرمة؛ فإن بعض الناس قد يأتي بدعاء فيه استغاثة محرمة، أو فيه استعانة محرمة، أو يسأل الله عَزَّوَجَلَّ باسم لم يسم الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه، أنت ادع الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ربك يقول: ادعوني بأسمائي، فلِمَ تختار أسماء، أو تنتقي أوصافًا ليست في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك إذا أردت أن تدعوَ فلا تدعُ إلا باسم في كتاب الله؛ فإنه أحرى بالإجابة.

۞ **طبعا مما يتعلق –أيضًا– بالاعتداء في الطلب:** قالوا: الطلب أحيانا برفع الصوت، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]، رفع الصوت في الدعاء منهي عنه، «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَقِلُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا**»، فالإنسان لا يرفع صوته بالدعوة، إنما يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالكلام المعهود.

۞ **النوع الثاني –وأختم به حديثي–:** ما يتعلق بالاعتداء في المطلوب، فإن الإنسان إذا أراد أن يطلب شيئا فليس كل مطلوب يجوز له طلبه، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَو قَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، لا يجوز للمسلم أن يدعو بإثم، أن يدعو على أخيه المسلم، لا يجوز لمسلم أن يدعو على ظالم بأكثر من مظلمته، قيل في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]، قالوا: إن الشكوى، وإن الدعاء عليه بما يناسب مظلمته، بعض الناس قد يظلمه شخص ويخطئ عليه في قيادته سيارته، فيصيبه من الأدعية، أو فيلقي عليه من الأدعية ما لو كان ذلك الشخص من أشد الناس جرما؛ لما ساوى ما دعا به ذلك، هذا ما يجوز، وهذا من الاعتداء في المطلوب، فقد يأثم الداعي بسبب ذلك، إذًا لا تدع بإثم ولا بقطيعة ر حم، لا تدع على أخ، ولا على أب، ولا على أم، ولا على ابن، ولا تدعُ على قريب؛ فإن هذا من قطيعة الرحم، فإن واجب المسلم على رحمه أن يدعو له، وقد ثبت عند الترمذي: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جاءه رجل قال: إن بيني وبين قرابتي ما يكون بين القرابات، تعرف ما من قرابة إلا ويكون بينهم من النزاع، ويكون بينهم من الشقاق الشيء الكثير، ماذا قال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام: «**أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ لَهُمْ**»، ولذلك قال بعض أهل العلم: يجب على المرء أن يدعو لقريبه، ويحرم عليه أن يدعو عليه، إذًا الدعاء هذا يجب أن لا يكون بإثم، ولا بقطيعة رحم، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ .

۞ **من الاعتداء في الدعاء:** أن يسأل دقائق الأمور، كل من سأل دقائق الأمور؛ فإنه معتدٍ، جاء أن عبد الله بن مغفل الصحابي سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك البيت الأبيض على يمين

الداخل في الجنة -ربما لا أعلم ما دعا أحد الدعاء، لكن ربما سمع أثرًا، أو خبرًا عن بني إسرائيل عن ذلك البيت لجماله وحسنه- فقال له أبوه: يا بني إذا سألت الله فاسأله الفردوس الأعلى، فإني سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سَيَأْتِي أَقْوَامٌ يَعْتَدُونَ فِي دُعَائِهِمْ**»، يقول أهل العلم: إن سؤال دقائق الأمور منهيٌ عنه، فلو أن امرأً قال في دعائه: اللهم إني أسألك سيارة مواصفاتها كذا، قالوا: هذا منهي عنه، وإنما سل الله عَزَّ وَجَلَّ الخير لك، اسأله الخير، لا تسأله دقائق الأمور، حتى قالوا -وهذا قول كثير من أهل العلم-: أن سؤال الله تفاصيل الأمور في الصلاة يبطلها، فيقولون: إن الرجل إذا قال في صلاته: اللهم إني أسألك زوجة حسناء، ودابة هِملاجة؛ بطلت صلاته، قول بعض أهل العلم ليس جميعهم، لأن هذا من سؤال التفاصيل، أنت اسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الزوجة الصالحة، واسأل الله عَزَّ وَجَلَّ المسكن المناسب، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، أما التفاصيل فإن السؤال فيها مذموم، وسبب الذم فيها من جهات:

منها أن المرء إذا أعطي بعض سؤله فيقول: لم يُستَجب دعائي، بخلاف الثاني الذي يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بالكليات فإذا أعطي بعضه قال: الحمد لله أجاب الله دعائي، فحينئذ ماذا؟ يكون إيمانه قد زاد، ويكون ثناؤه على الله أكثر.

۞ **ومن أسباب منع سؤال دقائق الأمور؛ يقولون:** إن المرء إذا سأل دقائق الأمور فكأنما اختار لنفسه هذه الأشياء، وإذا وكل الأمر إلى ربه جَلَّ وَعَلَا؛ فإنه وكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الاختيار، ولذلك في البخاري من حديث جابر: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول في آخر الدعاء: إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: وعاجله وآجله؛ فاكتبه لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، إذًا استخر الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا خَار الله عَزَّ وَجَلَّ لك في أمر فهو الخير، فأنت اسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الصالح من هذا الفعل،

والصالح في هذا الأمر، وكِّل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخيرة، فإن هذا خير لك في شأنك، وصلاحٌ في قلبك.

۞ **مما يتعلق بالاعتداء في المطلوب:** أنهم يقولون: لا يجوز للمرء أن يطلب أمرًا ممنوعًا شرعًا، أو ممنوعا عادة، فكل من سأل الله عَزَّوَجَلَّ أمرًا محرمًا؛ كأن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ التيسير لفعل محرم؛ فقد أثم، وكل من سأل الله عَزَّوَجَلَّ سؤالًا ممنوعًا عادة؛ كمن قال: اللهم اجعلني أطير، أو أعيش يطول عمري مئات السنين؛ فنقول: هذا الدعاء حرام، فإنه لا يُسأل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأشياء الممنوعة، ما لم إثمًا، أو قطيعة رحم.

۞ **أيها الإخوة!!** إن الحديث عن الاعتداء، وصفة الاعتداء، وما يتعلق بالهيئة، والاعتداء في الوقت كثير جدا، فلو أردنا أن نتكلم عن الوقت؛ فإن فيه مواضع كثيرة لا يجوز الدعاء فيها، كما قال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث أبي قتادة الأنصاري: «**أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَأكثروا فيه من الدُّعَاء**»، أخذ منه أهل العلم أنه لا يُدعي في حال القيام، ولا يُدعى في حال الركوع، إلا ما ورد به النص وهو: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهم اغْفِرْ لِي**»، وما عدا ذلك يكون موضع الدعاء إمَّا في السجود، أو قبل السلام، غير هذين الموضعين لا دعاء في صلاة الفريضة، حتى بين السجدتين، بعض الناس يدعو ما يجوز، بين السجدتين هذا من الأركان القصيرة، لا تَذكرْ فيه إلا ما ورد به النص، حديث ابن عباس، أو حديث حذيفة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، أو تأتي بالجمل الأربعة أو الخمسة على اختلاف الرواية: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي**»، إذًا هذا المقصود أنه ليس كل موضع تدعو به إلا المواضع التي ورد بها النص، الحديث في هذا الموضوع طويل جدًّا، ويحتاج إلى كثير من التفصيل، لكن لعلنا نكتفي بما سبق، ونكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق، فأسأل الله العظيم

رب العرش الكريم أن يمن علينا بالهدى والتقى، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ألقيت هذه المحاضرة ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف

بجامع الحسن بن علي رضي الله عنهما بالرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

